العوالم المتوازية

(قصة) د.حسام الزمبيلى

إنه العام ٢٠٢٠م وفي تلك المنطقة المسماة بالهضبة الوسطى لجبل المقطم بمدينة القاهرة، وفي ليلة ظلّماء غاب عنها القمر تحت غيوم كثيفة، تكاتفت لتحجب بدرًا في ليلة الرابعة عشر من الشهر العربي، خيوطًا فضية أو ذهبية قليلة تلك التي نجحت في التسلل عبر تلك الغيوم لتصل لنافذة معمل الدكتور محمد عبدالهادي، كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحًا، تمطع الدكتور محمد عبدالهادي وفرد ظهره الذي حنته ليالٍ طوال من السهر في معمله الذريّ ، فرك لحيته الخفيفة التي خطها الشيب عند ذقنه بإصرار، رغم سنوات عمره الأربعين ، وخلع نظارته الطبية، ثم وضعها جانبًا، وأمسك بيده كرة لامعة تشع منها اشعاعاتٌ قزحية الألوان، طفت الكرة بخفة في الهواء، ارتسمت ابتسامةٌ قلقة على وجهه ، عبرت الكرة المشعة المعمل متجهةً نحو جهاز آخر قابع في نهاية الغرفة، وفي هدوءٍ دخلت الكرة في تجويف مضاء بلونٍ أرجوانيٍ مسالم ، رحّب الجهاز بالكرة بأن تألق هو الأخر بالاشعاعات القزحية نفسها التي تصدرها الكرة. وهنا بدأت أسارير الدكتور محمد في الانفراج، وحلّ الترقب والأمل محل التوتروالقلق . ازدادت الاشعاعات الصادرة من الجهاز تألقاً، وفجأة انفتح ولنقل تفتّح الجهاز كزهرة كبيرة كاشفاً عن قلب أبيض كبير ينبض ببطء وانتظام تقدم الدكتور محمد عبدالهادي ببطء نحو الجهاز، تردد قليلًا ثم دلف إلى داخله. أبطأ القلب الداخلي قليلًا ثم بدأ يتمدد و يتغلغل خلال الدكتور محمدعبدالهادي. بينما الدكتور محمد مستسلم في هدوءٍ عجيب، وفي عينيه بريقٌ أعجب. وما هي إلا لحظات حتى اختفى الدكتور محمد داخل القلب الأبيض الذي عاد لينبض بنفس رتابته السابقة.

وفى تلك اللحظة كان جرس منزله يدق بإصرار ، كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة صباحا بقليل، استيقظت السيدة نور الهدى زوجة الدكتور محمد، ونظرت إلى المنبه الهولوجرافيّ في وسط الحجرة، ثم تمتمت بقلق: «ماهذا الساعة ٣ صباحاً،

أمال فين محمد يا ترى!!... في المعمل، أكيد..... مش سامع جرس الباب كعادته، الله بس مين هيخبط علينا دلوقتي!!»،

هبطت درجات سلم المنزل مهرولة، وهي تهتف: «بقلق مين... مين بيخبط» جاءها صوتٌ قاس: «نحن المخابرات العلمية أين الدكتور محمد؟»

ازدادت قلقاً، ثم تمتمت :«المخابرات العلمية»وماذا تريد في هذه الساعة!!»

تصَدّر ثلاثة ضباط بالمخابرات العلمية بملابسهم الفضية اللامعة المزركشة بأنواع لا حصر لها من المعدات الغريبة التي تُميّز المخابرات العلمية، تحدث أوسطهم بأدبٍ حازمٍ :«سيدتي أنا العقيد حاتم سيف الدين من المخابرات العلمية، أين الدكتور محمد عبدالهادي يا سيدتي؟»

أجابت بحنق مكتوم :«بمعمله بالطبع!»

«اسمحي لنا بالدخول..الوقت ضيق» ، لم ينتظروا إجابة ودلفوا للمنزل من فتحة صغيرة بالباب لم يكن جسدها النحيل ليسدها.

وعلى باب المعمل كانت المفاجأة. هتف العقيد حاتم سيف الدين :«أين الدكتور يا سيدتى!! وأين لغة الوجود!!»

هتفت باستنكار «أين الدكتور!!» ثم ركضت مسرعة نحو المعمل تاركة باب المنزل على مصراعيه، سبقتها عيناها لدخول المعمل ، ثم خانتها قدماها عندما وجدته كاملًا إلا من الدكتور محمد عبدالهادي و....ماذا قال الضابط ...

أفيقت السيدة نور الهدى، وهي على أريكتها الحمراء المفضلة، بينما أحد ضباط المخابرات العلمية يحاول إفاقتها، والآخران يتفحصان المكان بحرص ودقة شديدين. ابتسم العقيد حاتم سيف الدين – الذي كان يبدو أكبرهم رتبة- بوجهه المستدير، وبشرته القوقازية ، وملامحه الدقيقة، وابتسامته الحزينة ثم قال «لقد فعلها زوجك يا سيدتي ، لقد اخترع لغة الوجود» انتفضت السيدة نور الهدى ثم اعتدلت بسرعة وقالت بغضب : «الآن....الآن لابد أن أفهم كل شيء»

_ نتابع نشاطات زوجك النابغة منذ فترة بعيدة وخاصة بعد انقسام مِصر إلى أربعة دويلات دولة الدلتا ودولة سيناء ودولة صعيد مصر ودولة الواحات والساحل الشماليّ، لقد كان أنبغ علمائنا وعلماء عصره في الفيزياء النووية، ولقد

Obeikan.com

طلبنا منه مرارًا أن يُطلعنا على أبحاثه لخدمة دولة الدلتا، ولكنه كان وبإصرارٍ شديدٍ يرفض التعاون، وخاصة بعد تفتت مصر إلى الدويلات الاربعة، وكنا -إلى حد ما- نتفهم مدى حزنه على بلده مِصر، ولكن كما تعلمين نحن كرجال أمن ننظر للأمور من منظور مختلف عن ذلك الخاص برجال العلم. فظللنا نراقبه فترة طويلة وهويسعى بكل كد للوصول إلى حلم حياته» صمت قليلًا ثم ارتسمت على وجهه كل ملامح الجدّية ثم قال مردفًا « للوصول إلى ......لغة الوجود»

وهنا قاطعته السيدة نور الهدى وقد ارتسم على وجهها مزيج من الدهشة وعدم التصديق ..بل والفزع «لغة الوجود» .

اعتدل الضابط فى جلسته، وهو يناولها كوبًا من النعناع الدافئ «اشربى يا سيدتى» أمسكت بالكوب وهي ترتشف بينما يكمل الضابط حديثه :«لقد كانت أبحاث الدكتور محمد تتركز حول وجود لغة موحدة للكون نستطيع إنْ توصلنا إليها أن نخترق حدود الزمان والمكان ، ونسافر عبر المجرات وعبر الازمنة» اتسعت عيناه ثم أردف العقيد حاتم سيف الدين بعد بُرهة من الصمت «وربما عبر العوالم والأكوان المتوازية». هزت رأسها في غير تصديق وكأنها تتأكد أنها ليست حالمة، «أكمل» ، «هو جهاز جديد يستخدم تكنولوجيا كانت حتى اليوم تعتبر فرضيات أو نظريات ، تكنولوجيا اللغة الموحدة للوجود» ، «ويبدو أن زوجك المصرى الأصيل قد توصل إليها» ، وللمرة الثانية قاطعته السيدة نور الهدى بحيرة «ولكننى ربما استطعت أن أفهم معنى السفر عبر المجرات البعيدة وحتى عبر الزمان ولكن عبر العوالم المتوازية فهذا كثير، كثير جداً» ابتسم العقيد حاتم سيف الدين متفهمًا « السفر عبر العوالم المتوازية هو فرضية أخرى من فرضيات الفيزياء الحديثة، التي تفترض وجود عوالم متوازية وأكوان متوازية ، ربما تحتوي على مجرات متوازية مثل مجرتنا درب التبانة وربما شموس متوازية مثل شمسنا العزيزة وربما كرة أرضية مثلنا تمامًا، بل وربما يكون هناك مِصر أخرى أو أمصار أو أوطان عربية متوازية»

أجابت باستنكار هذا يا سيدي خيال علميّ هل جئت تعبث بعقلي !!!

«أقسم لك سيدتي أنها الحقيقة لقد حطم زوجك ذلك الحاجز بين الحقيقة العلمية

والخيال العلميّ»

***

سقط الدكتور محمد عبدالهادي أرضًا ، في منطقة خضراء تطل على بحيرة خلابة ، مياهها لامعة ، تتقافز الأسماك على صفحتها بسعادة غامرة، التفت حوله فوجد بعض الأطفال يتلفتون إليه ، بعد أن أفزعهم منظر ماكينة لغة الوجود فتوقفوا عن لعب الكرة، وبدأوا يتحركون صوبه ببطء، وفي تلك اللحظة ظهرت طوافة صاروخية يقودها أحد ضباط الشرطة، ترجل منها ثم تقدم بأدب نحو الدكتور محمد من فضلك تفضل معي، التفت الدكتور محمد نحو «لغة الوجود»، فهم الضابط مغزى نظرته فأردف: «اطمئن ..سأرسل طوافة أخرى تحضرها»

ركب الدكتور محمد الطوافة ، وما أن ارتفعت في الهواء حتى سأل الضابط الجالس بجواره «هل لي أن أسأل أين أنا؟»

ضحك الضابط «ألا تعرف أين أنت !! أنت في مِصر ياعزيزى في قلب الدولة العربية المتحدة».

فغر الدكتور صلاح فاه واتسعت عيناه ، ثم قال بصوت خفيض: وما هو تاريخ اليوم ؟

أجابه الضابط وقد بدا عليه الضجر :«٢٩ ديسمبر ٢٠٢٠م» ، سأله بصوت خفيض «هل قامت ثورات الربيع العربي في ٢٠١١م؟» وهل قامت ثورة ٢٥ يناير؟

ابتسم الضابط وكأنه يتذكر ذكرى سعيدة بدأ قوله بكلمة: «آه ثورة المجد..... ثورة الحرية ...ثورة الكرامة»

استغل الدكتور محمد حماس الضابط فاتبع بقوله «هل لك أن تقص لي هذه الذكريات، فقد كنت مسافراً»

ضحك الضابط «مسافراً ...أنت من عالم أخر ولا ايه يا أستاذ! ده العالم كله بيتكلم عن ثورات الربيع العربي»

قهقه الدكتور محمد «ههههه من عالم أخر ههههه...أنت عارف الدكاترة بيبقوا مشغولين جدا ومش دريانين بالدنيا»

لم يدعه الضابط يستكمل قصته فبدأ يحكي وكأنه يحكي قصته المفضلة «كما تعلم

قامت ثورة ٢٥ يناير بعد عقود من القمع والظلم والمعاناة عاشتها مصر وعاشتها العديد من شعوب الامة العربية، فبعد أن أحرق البوعزيزى نفسه ، ونجحت ثورة تونس الخضراء، تم إقصاء الرئيس المصري مبروك،

قاطعه الدكتور صلاح :(قصدك مبارك)

نظر إليه الضابط باستغراب «مبروك..... انت هتعرفني اسم الرئيس اللي حكمنا ٣٠ سنة» ثم عقد حاجبيه وقال : «إنت ايه حكايتك يا راجل إنت.. على العموم اسمع القصة « آلى الدكتور صلاح على نفسه ألا يقاطعه ابدًا حتى ينتهي من قصته «عقب الثورة مرت مصر بفترة عصيبة من الاضطرابات، هددت وحدة نسيجها الوطنيّ»

شعر الدكتور محمد بخنجرٍ في قلبه عند سماعه تلك الكلمات الأخيرة «ثم قامت مجموعة من علماء علم الاجتماع وعلم النفس وعلوم الإدارة وعلم إدارة المشروعات بدراسة اسباب هذه الظاهرة»

وإلى ماذا توصلوا « قاطعه الدكتور محمد،

توصلوا إلى أن هناك سلوكيات واتجاهات وسمات سلبية اصطبغ بها أداء ومعاملات وسلوك الشعب المصري في العقود الأخيرة ، نتيجة لعدم المساواة والقهر والظلم الشديدين اللذين تعرض لهم، هذه السلوكيات هي التي تؤدى إلى الاضطرابات والانقسامات في المجتمع.

لم يملك الدكتور محمد نفسه فقاطعه مرة أخرى « مثل ماذا»

«توصل فريق العلماء إلى أنّ هناك سلوكين أو اتجاهين شديدي السلبية لهما الأولوية في الإصلاح، ومن ثَم يمكن إصلاح باقي السلوكيات» اعتاد الضابط على مقاطعة الدكتور محمد عندما قال بلهفة الأطفال «وما هما؟»

«السلوك الأول الإصرار المرضيّ على وجهة النظر الشخصية وعدم القدرة على تبني وجهة النظر الاخرى»

«همممم» تمتم الدكتور محمد

«أما السلوك الثاني فهو الإصرار المرضيّ على البحث عن نقاط الخلاف والاختلاف بين طوائف وشرائح وأعراق المجتمع المِصري، ثم تضخيمها وتسليط الضوء عليها،

Obeikan.com

فظهرت الخلافات بين المسلم والمسيحي، وأهل الدلتا وأهل الصعيد، والأبيض والأسمر، والغني والفقير، وأهل القاهرة وأهل الاسكندرية، وأهل بورسعيد وأهل الاسماعيلية، ثم ازداد الانقسام فظهر بين السُنة والشيعة، وظهر بين الكاثوليك والارثوذوكس والانجليين»

صمت الضابط بُرهة ثم أردف بابتسامة جميلة «وهنا كانت الحاجة لشيء ما يستطيع تغيير هذين السلوكين المدمرين، وبسرعة قبل فوات الأوان، فقد كانت الأمور تتجه وبسرعة نحو الهاوية» وهنا تفتقت العبقرية المِصرية عن اختراع يسمى (مغير السمات) وهو جهاز يرتدى في اليد تم دمجه لاحقًا في ساعة اليد والموبيلات، وهو يقوم بدور الموجه أو المنبه الشخصي الاجتماعي ،فهو يرصد سلوكيات واتجاهات الفرد ويعطيه تقرير عن هذه الأخطاء واقتراحات عن كيفية التصرف الصحيح، ولقد كان لانتشار (مغير السمات) فعل السحر في المجتمع المصري ، فتمت تغذيته بمناهج سلوكية مستمدة من الديانة الإسلامية والمسيحية وتم شرحه ونشره بين الناس باستخدام الوسائط الإعلامية المختلفة، ساعد في انتشاره السريع روح الثورة أو روح الميدان كما أطلق عليها أحد الثوار المفكرين، والحاجة الملحة للتغيير»

صمت الضابط «بينما كانت كلمتان تترددان في مخيلة الدكتور محمد (مغير السمات ...مغير السمات).

***

وفي تلك الأثناء في الهضبة الوسطى بالمقطم بمدينة القاهرة، كانت السيدة نور الهدى قد ذهبت إلى الفراش، وكانت الساعة قد قاربت الثامنة صباحًا، وقد انصرف ضباط المخابرات العلمية بعد أن استولوا على كل ما بالمعمل، خلعت نظارتها الطبية والدموع تملآ عينيها حزنًا وقلقًا على مصير رفيق حياتها، وبينما هي تضع النظارة جانبًا، فإذا بقُصَاصَة صغيرة من الورق ، بخط زوجها الحبيب ، فتحت القُصَاصَة ، فإذا بها كلمة واحدة قرأتها والدموع تنهمر من عينيها...(سأعود).

obeikan.com